العزوف عن الزواج عند المؤلفين والعلماء المسلمين في العصور الإسلامية

أ .د. فاضل جابر ضاحي
جامعة واسط، كلية التربية ، قسم التاريخ

المقدمة

أن ما يبعث على الدهشة أن نقرأ في تراجم كبار العلماء والمؤلفين المسلمين في مختلف فروع العلم والمعرفة، مجانبتهم للزواج طيلة حياتهم، ومن بينهم من كان محدثاً وفقيهاً ومفسراً لامعاً، أي إنهم على دراية تامة بأحكام الزواج وحث الشريعة الإسلامية عليه.

إن بحثنا المتواضع هذا والموسوم بـ (العزوف عن الزواج عند المؤلفين والعلماء في العصور الإسلامية) يعالج هذا الجانب من حياة أولئك الأفذاذ، ويقدم كشفاً بتراجمهم، وفي ذات الوقت يبحث في الأسباب المختلفة لهذا العزوف. وتتأتى أهمية هذا الموضوع من كونه يتناول مفصلاً مهماً من حياة أولئك العلماء قلما التفت إليه الباحثون.

واقتضت المعلومات التي حصلنا عليها، أن نقسمها الى أربعة مباحث، خصص الأول منها للتسميات التي أطلقها اللغويون على تارك الزواج وموقف الشريعة منه، وتناول المبحث الثاني العزوف عن الزواج خلال الحقبة الزمنية الممتدة من القرن الثاني الهجري حتى القرن السادس الهجري، في حين أوقفنا المبحث الثالث على المؤلفين والعلماء العازفين عن الزواج خلال القرن السابع الهجري لكونه مميزاً من حيث عدد تاركي الزواج خلاله، أما المبحث الرابع والأخير، فقد درسنا فيه ما ذكر عن هذا الموضوع في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، إن حجم المعلومات المجموعة هو الذي أثر في هذا النمط من التقسيم.

أما مصادر المعلومات حول هذا الموضوع، فهي كثيرة جداً ومتنوعة، اذ لم تقتصر على التاريخية منها، بل شملت أيضاً المصادر اللغوية والأدبية والجغرافية، ومصادر الحديث النبوي الشريف والفقه، ولكننا في هذه المقدمة سنقتصر على ذكر المصادر التي اهتمت بوضوح بذكر هذا الجانب من سير المؤلفين والعلماء، ويأتي في مقدمتهم المؤرخ الدمشقي شمس الدين الذهبي (ت748هـ) الذي ركز على ذكر ذلك في غير كتاب من مؤلفاته الكثيرة وأهمها: تاريخ الإسلام وسير أعلام النبلاء والعبر في خبر من غبر، يشاطره في هذا الاهتمام تلميذه المؤرخ صلاح الدين الصفدي (ت764هـ) من خلال كتابيه أعوان العصر والوافي بالوفيات وأهتم المؤرخون المصريون في تاريخ هذه الناحية من حياة العلماء المسلمين يقف في مقدمتهم، المؤرخ اللامع ابن حجر العسقلاني (ت852هـ) في كتابيه أنباء الغمر بأبناء العمر والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وتلميذه المؤرخ الشهير شمس الدين

السخاوي (ت902هـ) وخاصة ما ذكره عنهم في موسوعته عن القرن التاسع الموسومة بالضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ثم جلال الدين السيوطي (ت911هـ) في عدة مؤلفات أهمها: بغية الوعاة، وأفادنا كثيراً ما ذكره المؤرخ المغربي ابن الأبار في كتابه التكملة لكتاب الصلة. ومن المؤرخين المتأخرين يقف ابن العماد الحنبلي (1089هـ) متفرداً بينهم بالاهتمام في هذا الجانب. هذا فضلاً عن مصادر عديدة أخرى ذكرناها في قائمتها آخر البحث.

المبحث الأول– العزوف عن الزواج في اللغة والشريعة:

لتوضيح مفهوم العزوف عن الزواج، سواء أكان اختيارياً أم إجبارياً عند أهل اللغة، والوقوف على رأي الشريعة من هذا الموضوع، ارتأينا أن نرجع إلى كتب اللغة والقران الكريم وكتب الحديث الشريف، من أجل أن تكتمل الصورة في ذهن القارئ الكريم . فقد وردت في القواميس اللغوية عدة تسميات تدل على تارك الزواج، ومن أشهر هذه التسميات وأكثرها استخداماً عند أهل اللغة وكذلك عند المؤرخين الذين ترجموا للعلماء والمؤلفين العازفين عن الزواج تسمية (الصرورة أو الصارورة أو الصارور)، إذ تطلق على من لم يتزوج ومن لم يحج أبدا[1]. وقال ابن منظور في موضع آخر من لسان العرب أن الصارورة رجل لم يحج ولم يتزوج وهو الذي لم يأت النساء وكأنه أصر على تركهن[2].ومن التسميات الأخرى التي أطلقت على غير المتزوج من الرجال تسمية المكسع، وهي إحدى صفات العزب عند الرجال وتفسيرها إن بقية الرجل ردت في ظهره[3].

وأطلق العرب على من لا زوجة له سواء أتزوج من قبل أم لا، اسم الأيم، ويطلق ذلك على المرأة أيضاً حيث يشار إليها باسم الأيمة بكراً كانت أم ثيباً[4]، ويقال تأيمت المرأة إذا أقامت بلا زواج[5]. وذكر الزبيدي، أن الرجل الذي لم يتزوج طيلة عمره يقال له الهالك المفرش، أي أن عمره ذهب ضلالاً[6]، وعرف الرجل الذي أسن ولم يتزوج باسم العنس، ويقال مثل ذلك للمرأة التي أمسكوها أهلها عن الزواج[7]. أما تسمية الحصور فتشير الى الرجل الذي لا يأتي النساء مع القدرة على ذلك[8]، وقال الفيروز آبادي أن الرجل الذي لا زوجة له يسمى العزب بالضم، وليس الأعزب، وتعزب الرجل أي ترك

1 أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، ج1/ ص213؛ ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج8/ ص865؛ ابن منظور، لسان العرب، ج4/ ص453.

2 المصدر نفسه والصفحة.

3 المصدر نفسه، ج8/ ص310؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1/ ص981.

4 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1/ ص166.

5 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج1/ ص85.

6 تاج العروس، ج17/ ص310.

7 الفيومي، المصباح المنير، ج2/ ص432.

8 السرخسي، المبسوط، ج4/ ص194.

الزواج[1]. أما التبتل فهو مصطلح يطلق أيضاً على ترك الزواج[2]، وأصل التبتل القطع أي الانقطاع عن النساء فلا يتزوج ولايولد له[3]، وينطبق ذلك على الرجال والنساء على حد سواء، ومن اللائي سمين بالبتول مريم (عليها السلام)؛ لانقطاعها عن الرجال، وفاطمة الزهراء (عليها السلام)؛ لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ودیناً وحسباً أو لانقطاعها عن الدنيا لله تعالى[4].

أما في القران الكريم والحديث النبوي الشريف، فقد ورد ما يوضح الموقف من قضية الزواج وتركه، كقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[5]، وتضمنت كتب الحديث النبوي الشريف العديد من الأحاديث النبوية التي تحث على الزواج منها قوله (ﷺ): "يا معشر الشباب من أستطاع منكم الباءة فليتزوج، فأنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فأنه له وجاء"[6]. وحديثه (ﷺ): "تزوجوا فأني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى"[7]، وقال (ﷺ): "تزوجوا النساء فأنهن يأتين لكم بالمال"[8]، أي بالرزق، وقال (ﷺ): "من أستن بسنتي فهو مني ومن سنتي النكاح[9] أي الزواج.

وتضمنت كتب الحديث الشريف أيضاً أحاديث عديدة تعارض ترك الزواج لأسباب غير شرعية، ومن ذلك قوله (ﷺ): "مسكين مسكين مسكين رجل ليست له امرأة"[10]، وقوله (ﷺ): "من كان موسراً ولم ينكح فليس منا"[11]، وذكر الحاكم النيسابوري قول الرسول (ﷺ): "لا صرورة في الإسلام"[12]، ويروى انه(ص) كان يتعوذ من الأيمة وهي طول العزبة[13].

إن تأكيد الإسلام على الزواج متأتي من كون الزواج بمثابة المؤسسة التي تهدف الى بناء الأسرة، والأسرة هي عماد المجتمع المتوازن، فالزواج هو السبيل للحصول على الأبناء والبنات الذين هم زينة الحياة الدنيا. كما انه الملاذ الذي يتحصن به المتزوج من الانزلاق في المحرمات.

المبحث الثاني–العزوف عن الزواج عند المؤلفين والعلماء حتى نهاية القرن السادس الهجري:

1 القاموس المحيط، ج1/ ص104.

2 الفراهيدي، كتاب العين، ج8/ ص124.

3 ابن سلام، غريب الحديث، ج4/ ص195.

4 ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج1/ ص94؛ النووي، شرح مسلم، ج9/ ص176.

5 الروم: 21.

6 صحيح مسلم، ج4/ ص128.

7 النووي، المجموع، ج6/ ص126؛ الشوكاني، نيل الأوطار، ج6/ ص226.

8 الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص196.

9 السيوطي، الدر المنثور، ج3/ ص147.

10 المصدر نفسه، ج3/ ص148.

11 ابن أبي شيبة، المصنف، ج3/ ص371؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج4/ ص251.

12 المستدرك على الصحيحين، ج1/ ص617؛ وكذلك ورد هذا الحديث عند أبي داود في السنن، ج2/ ص141.

13 السرخسي، المبسوط، ج4/ ص194.

يعد المحدث والمفسر الثقة عبد الله بن أبي نجيح يسار الثقفي المكي (ت131هـ) أول من ذكرته المصادر الأولية التي طالعناها على أنه لم يتزوج طيلة حياته، كان محدثاً لامعاً، حدث عنه كبار المحدثين مثل شعبة والثوري وسفيان بن عيينة، وقد وثقه يحيى بن معين وآخرين، وكان مفتي أهل مكة[1]، لكنه على الرغم من ذلك ترك الزواج ولم يقدم عليه قط دون أن تذكر المصادر سبب ذلك.

ومن أشهر البغداديين العازفين عن الزواج من علماء القرن الثاني للهجرة بشر بن الحارث المروزي الزاهد المشهور باسم بشر الحافي (ت150هـ) وقد ذكر الخطيب البغدادي أن بشراً ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد وتفرد بوفور العقل والفضل، وكان محدثاً كثير الحديث وعازفاً عن الدنيا لم يملك ملكاً قط في بغداد التي سكنها ومات فيها، وكان يمشي حافياً حتى اشتهر بذلك[2]، ولم يتزوج بشر قط ولم يعرف النساء، فقيل له لم لا تتزوج؟ قال لو أظلني زمان عمر وأعطاني لتزوجت، ثم قيل له لو تزوجت ثم تزهدت، قال إني أخاف أن تقوم هي بحقي ولا أقوم أنا بحقها[3] وعلى شهرته فأنه كان لا يقبل من أحد أن يعطيه شيئاً على سبيل الهدية أو العطية وأعتمد في معيشته على عمل المغازل التي كان يصنعها ويبيعها وبقي كذلك حتى مات[4]. وذكر ابن الجوزي البغدادي أن بشراً الحافي سئل يوماً عن سبب عدم زواجه فقال: "على ماذا أغر مسلمة، وقد قال الله عز وجل ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف"[5].

أن تزهد بشر الحافي الشديد وخشيته من أن لا يقوم بحق الزوجة هو أهم ما يقف وراء عدم إقدامه على الزواج، إذ بلغ به الفقر حدا انه كان ينظر الى الفاكهة فيقول: إن تركها عبادة[6]، ليس هذا فحسب بل روي عنه انه قال : "الفكرة في أمر الآخرة تقطع حب الدنيا وتذهب شهواتها...ومن طلب الدنيا فليتهيأ للذل..."[7].

ومن مؤلفي القرن الثاني للهجرة الذين آثروا العيش دون شريك النحوي المشهور يونس أبو عبد الرحمن بن حبيب البصري مولى قبيلة ضبة (ت182هـ)، ألف من الكتب معاني القران العظيم وكتاب اللغات وكتاب الأمثال وكتاب النوادر الصغير[8]، ويعد هذا المؤلف من المعمرين، إذ عاش أكثر من تسعين سنة قضاها دون زواج ودون تسري[9]، وأكدت المصادر التي ذكرت ذلك أن السبب وراء عدم

1 الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6/ ص125؛ وينظر ترجمته في الطبقات الكبرى لابن سعد، ج5/ ص483.

2 الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج7/ ص67.

3 ابن العماد، شذرات الذهب، ج2/ ص61.

4 الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج4/ ص14؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج10/ ص471.

5 ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص282.

6 ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1/ ص274.

7 المصدر نفسه، ج1/ ص275.

8 ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7/ ص245؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج2/ ص365.

9 ابن خلكان، المصدر نفسه والصفحة.

زواجه أنه "لم يكن له همة إلا طلب العلم"[1]، أي أن أسباباً علمية تتعلق بشغفه بطلب العلم حالت دون ذلك.

ويعد أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت310هـ) من أشهر المؤرخين المسلمين، فضلاً عن كونه مفسراً ومحدثاً وفقيهاً لا يشق له غبار، عاش الطبري منذ صغره في بحبوحة من العيش الرغيد، اذ أن ثراء عائلته هيأ له حياة هانئة دون الالتفات إلى الانشغال بكسب الرزق، ولهذا كان يهتم كثيراً في مأكله وملبسه، إذ كان لا يأكل من الخبز إلا المنقى، وقد ذكر مترجموه طريقته في صنع الأكل الذي يتناوله وهي تدل على اهتمام واضح بالنظافة والصحة[2].وتدلنا طريقته في العيش على السبب الكامن وراء عدم زواجه، اذ كان يقضي يومه على النحو الآتي: "إذا أكل نام في الخيش...ثم يقوم فيصلي الظهر في بيته ويكتب في تصنيفه الى العصر، ثم يخرج فيصلي العصر ويجلس للناس يقرئ ويقرأ عليه إلى المغرب ثم يجلس للفقه والدرس بين يديه إلى عشاء الآخرة ثم يدخل منزله وقد قسم ليله ونهاره في مصلحة نفسه ودينه والخلف..."[3]. وقال الحموي أيضاً عن الطبري: "كان عازفاً عن الدنيا، تاركاً لها ولأهلها يرفع نفسه عن التماسها"[4].

إن اهتمام الطبري الكبير والمشهور بالعلم هو السبب الرئيس وراء عدم زواجه، إذ يروى أنه رحل عن بلدته آمل في طبرستان وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وأخذ يجوب البلدان طلباً للعلم مولعاً به الى وفاته وقد كان حصوراً عفيفاً لم يتزوج على مدى حياته[5]، ويذكر ياقوت قولا للطبري بهذا الشأن ونصه: "أنا لا ولد لي، وما حللت سراويلي على حرام ولا حلال قط..."[6].

ومن أطباء هذه الفترة المشاهير الطبيب المصري إسحاق بن سليمان المعروف بالإسرائيلي (ت320هـ) سكن مدينة القيروان وخدم الخلفاء الفاطميين في افريقية، اشتهر بكتابه الطبي الموسوم (الحميات)[7]، وعلى الرغم من أنه عاش أكثر من مائة عام لكنه لم يتزوج قط، فقيل له بعد تأليفه لكتاب الحميات واشتهاره به: "ألا يسرك أن لك ولداً فقال: أما إذا صار لي كتاب الحميات فلا"[8]. والواقع ليس لنا إلا أن نأخذ بقول الطبيب هذا الذي بين فيه أن سبب عزوفه عن الزواج هو حب العلم والاشتغال به مفضلاً الخلود بالكتاب على أن يحمل أسمه أحداً من أبنائه، حيث قال: "لي أربعة كتب تحي ذكري وهي

1 الفيروز آبادي، البلغة، ج1/ ص247.
2 الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج2/ ص162؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج18/ ص40.
3 ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج8/ ص92.
4 المصدر نفسه، ج8/ ص61.
5 طبقات الشافعية، ج3/ ص125؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج7/ ص102.
6 معجم الأدباء، ج18/ ص55.
7 الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8/ ص269.
8 المصدر نفسه والصفحة نفسها.

كتاب الحميات وكتاب الأغذية والأدوية وكتاب البول وكتاب الاسطقسات"[1]، والواقع ان حرص بعض العلماء على أن يذكرهم التاريخ جاء ادراكاً منهم لحقيقة مفادها: إن التاريخ يخلدهم أكثر من الأبناء إذ أن غاية ارتباط أسماؤهم بأسماء أبنائهم وأحفادهم أربعة أو خمسة أجيال أما ذكر التاريخ فهو باق ما بقيت مؤلفاتهم أو الكتب التي سجلت أخبارهم[2].

ومن العلماء الذين آثروا طلب العلم وفضلوه على مشاركة النساء في حياتهم أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، الأديب واللغوي والمؤلف المشهور المولود في الأنبار، والمتوفى في بغداد سنة 328هـ[3]. ألف العديد من الكتب في عدة علوم منها: كتاب الزاهر في اللغة وكتاب عجائب القران وكتاب الأمثال وكتاب عجائب علوم القران وكتاب خلق الإنسان، وقد روى بعض المؤرخين أن أبا بكر الأنباري كان في السوق يوماً، فرأى جارية حسناء فوقعت في نفسه، فذكرها للخليفة العباسي الراضي (297-329هـ) الذي كان يرتاد بلاطه، فاشتراها الخليفة وأرسلها إليه، فنظر إليها ثم تركها واشتغل في إحدى المسائل العلمية، فلما تذكرها أمر خادمه أن يأخذ الجارية ويرحل قائلاً له، خذها وأمض بها فليس لها أن تشغل قلبي عن علمي، فأخذها الخادم، ثم وقفت تلك الجارية وقالت للأنباري: أنت رجل معروف وصاحب علم، فإذا أخرجتني على هذه الصورة دون أن تبين ذنبي، ظن الناس بي ظناً قبيحاً، فقال لها: ليس لك ذنب سوى انك تشغليننني عن علمي، فقالت: هذا أمر سهل، فلما بلغ الراضي ما حدث قال: لا ينبغي أن يكون العلم في قلب أحد أحلى منه في صدر هذا الرجل[4]. أما الشاعر أحمد العروضي النهرجوري المتوفى سنة 403هـ والذي ألف في علم العروض وكتب القصائد، فأن عدم زواجه كما يظهر مما نقله لنا المؤرخ الصفدي يرجع الى أسلوب حياته وسلوكه في التعامل مع الناس، وصفاته الخلقية والخلقية، إذ قال فيه ما نصه: "وكان شيخاً قصيراً شديد الأدمة سخيف اللبسة وسخ سيء في الجملة...متظاهراً بالإلحاد غير مكاتم له ولم يتزوج قط ولا أعقب... وكان ثلابة للناس هجاء قليل الشكر لمن يحسن إليه"[5].

ومن علماء قزوين ومحدثيها الخضر بن أحمد بن الخضر القزويني (ت374هـ)، قال مواطنه أبو يعلي القزويني (ت446هـ) انه ارتحل الى الري ونيسابور وهراة والعراق ودخل بغداد وواسط والبصرة والكوفة ثم خرج الى مكة وكان زاهداً ديناً ونقل عنه قوله انه كتب بيده ستة آلاف جزء ولم يتزوج[6]. ولا

1 االبغدادي، هدية العارقين،ج1/ص199.

2 فاضل جابر ضاحي، محاضرات في منهج البحث التاريخي، ص13.

3 تنظر ترجمته: الخطيب البغدادي، ج3/ ص169؛ الأصفهاني، الأغاني، ج20/ ص85.

4 الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج3/ ص402؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص480؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج23/ ص625.

5 الوافي بالوفيات، ج8/ ص197.

6 أبو يعلى، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ج2/ ص765؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج26/ ص555.

عجب أن رجلاً يعيش حالة الترحال وعدم الاستقرار ويقضي معظم وقته في الكتابة ويميل الى الزهد أن لا يتزوج أبداً.

ويعد الحافظ إسماعيل بن علي بن الحسين الرازي المعروف بابن السمان الحنفي (ت445هـ) من مؤلفي القرن الخامس العازفين عن الزواج، إذ ألف كتاب البستان في تفسير القران وكتاب الرياض في الحديث الشريف وكتاب سفينة النجاة في الأئمة الهداة والمدخل في النحو والمصباح في العبادات وغيرها من الكتب[1]. كان من المعمرين إذ توفي وله من العمر أربع وتسعين سنة[2]، حيث أشترك في هذه الصفة مع العديد من العلماء والمؤلفين غير المتزوجين طيلة حياتهم، ولعل في ما ذكره المؤرخ الصفدي عنه ما يفسر لنا عزوفه عن الزواج، حيث قال في ترجمته له: "وطاف في الدنيا ولقي الشيوخ، وكان زاهداً ما رأي مثله في كل فن ولم يكن لأحد عليه منة ولم يضع يده في قصعة أحد طوال عمره، ووقف كتبه التي لا يوجد مثلها على المسلمين...وقرأ على ألف وثلمائة شيخ وقرأ عليه ثلاثة آلاف وصنف كتباً كثيرة ولم يتزوج"[3]. وهكذا فان أسباباً تتعلق بصفاته الذاتية وانشغاله بطلب العلم والتأليف به ونشره أبعدته عن التفكير في تشكيل أسرة كبقية الرجال.

ومن المحدثين الفقهاء العازفين عن الزواج أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن أبي الليث التميمي (ت473هـ)، كان له شأن كبير في الفقه والقراءات كما قال معاصره أبو يعلي القزويني (ت446هـ)، ولم يوضح لنا سبب عدم زواجه[4].

ومن الفقهاء المؤلفين الذين عللوا عدم إقدامهم على الزواج الفقيه مقبل بن محمد بن زهير بن خلف الهمداني اليماني (ت بعد سنة 500هـ) كان فقيهاً زاهداً ورعاً ألف مختصراً في الفرائض[5]، قال أحد مؤرخي اليمن في ترجمته لمقبل هذا: "لم يتزوج فقيل له في ذلك، فقال: أنا حر لا أملك نفسي أحداً"[6]، وهو جواب غريب انفرد فيه هذا الفقيه.

ومن فقهاء أصبهان الذين آثروا أن يعيشوا بلا زوجة الفقيه الحنبلي أبو سعد محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن داوود الأصبهاني المعروف بالخياط (ت508هـ) الذي سكن بغداد وكتب بخطه الكثير في الحديث والفقه، وكان ظاهر الصلاح قليل المخالطة مع الناس، مات في بغداد دون أن يخلف وارثاً لأنه لم يتزوج قط[7].

1 البغدادي، هدية العارفين، ج1/ ص210.

2 الصفدي، الوافي، ج9/ ص94.

3 المصدر نفسه والصفحة.

4 أبو يعلى، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ج2/ ص765.

5 الجندي، السلوك في طبقات العلماء، ج1/ ص276.

6 المصدر نفسه، ج1/ ص277.

7ابن العماد، شذرات الذهب، ج14/ ص56- ص57.

وفي الأندلس عاش الشاعر إبراهيم بن أبي الفتح بن عبيد الله بن خفاجة الهواري (ت533هـ) من أهل جزيرة شقر[1] دون زواج، وصفه صاحب كتاب التكملة بأنه: أحد الأدباء البلغاء متقدماً في الكتابة والشعر، وكان نزيهاً لا يتكسب بالشعر ولا يمتدح أحدا معتمداً في معيشته على ضيعته وما تدره عليه وله ديوان شعر مشهور[2].

ومن محدثي بغداد المشاهير عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن الحافظ أبو البركات المعروف بالأنماطي (ت538هـ)[3]، أشتهر بعلم الحديث النبوي حتى تتلمذ عليه الكثير ممن ذاع صيتهم فيما بعد في هذا العلم مثل: المديني والسمعاني وابن الجوزي وغيرهم[4]، قال الذهبي لم يبق جزءً في الحديث الشريف الا وقرأه وجمع غالبية كتب الحديث أما أن ينسخها بيده أو يشتريها حتى نسخ بخطه الكتب الضخمة مثل طبقات ابن سعد وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وكان متفرغاً لتدريس الحديث النبوي فأما أن يقرأ عليه الحديث أو ينسخ منه شيئاً[5]، بلغ من العمر ست وسبعون سنة ولم يتزوج قط[6]، ولعل سبب ذلك يعود الى قضائه معظم وقته بين الكتب قراءة وتأليفاً وتدريساً، مشتركاً في هذه الصفة مع العديد من العلماء .

ان سمة الموسوعية العلمية هي التي اتصفت بها ثقافة العصور الإسلامية، لذلك نجد الكثير من علماء تلك الفترة لم يكتفوا بدراسة علم أو علميين، بل حاولوا تعلم وتعليم معظم معارف عصرهم، ومن هؤلاء العلماء عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر المعروف بابن الخشاب النحوي (ت567هـ)[7] الذي كان أعلم أهل زمانه في النحو، قال الصفدي في ترجمته: "وكانت له معرفة بالحديث واللغة والفلسفة والحساب والهندسة وما من علم من العلوم الا وكانت له فيه يد حسنة..."[8]، فهذا الانكباب على العلم وتعليمه لا بد وأن كان له دور في عدم اقدامه على الزواج أو التسري، فضلاً عن صفات شخصية أخرى كانت ولا تزال تؤثر سلباً في قضية الزواج، أهمها: صفة البخل، فالبخيل عادة ما يخشى من التبعات المالية التي يتطلبها الزواج، وعالمنا كما وصفته بعض المصادر كان "بخيلاً مقتراً على نفسه مبتذلاً في ملبسه ومطعمه ومعيشته..."[9]، ومن السلوكيات غير السليمة لدى هذا النحوي،

1 شقر: جزيرة تقع شرقي الأندلس، وهي من أكثر البلاد خضرة وشجراً وماء. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3/ ص354.

2 ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج1/ ص124- ص125.

3 الأنماطي نسبة الى بيع الأنماط وهي الفرش التي تبسط، أشتهر بهذه النسبة عدة علماء. ينظر: السمعاني، الأنساب، ج1/ ص223؛ ابن الأثير، اللباب، ج1/ ص91.

4 الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20/ ص134.

5 الذهبي، تاريخ الإسلام، ج36/ ص467.

6 الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج4/ ص104.

7 ينظر عنه: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج3/ ص445؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج2/ ص30.

8 الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17/ ص12.

9 ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج3/ ص445.

كما يقول بعض الذين ترجموه انه: "كان يتعمم بالعمامة فتبقى على حالها حتى تسود مما يلي رأسه وتتقطع من الوسخ وترمي عليها الطيور ذرقها، ولم يتزوج ولا تسرى وكان إذا حضر سوق الكتب وأراد شراء كتاب غافل الناس وقطع منه ورقة وقال انه مقطوع ليأخذه بثمن بخس، وإذا استعار من أحد كتاباً وطالبه به قال دخل بين الكتب فلا أقدر عليه[1]، ومن مؤلفاته شرح كتاب الجمل وشرح كتاب اللمع[2].

وكان لبعض علماء الأندلس ذكر في هذا المجال، فالشاعر المشهور محمد بن غالب الرفاء الرصافي البلنسي (ت572هـ) لم يتزوج طيلة حياته، ذكر صاحب كتاب التكملة بعض أخباره ولعل فيها ما يوضح لنا عزوفه عن الزواج، إذ خرج وهو صغير من موطنه محلة الرصافة بمدينة بلنسية الأندلسية، مغترباً فكان يكثر الحنين إليه بل كتب أكثر شعره في الحنين الى وطنه[3]، وكان عصامياً معتمداً على نفسه في معيشته من خلال صنعة الرفو، ولم يقبل الخوض في أي وظيفة رسمية ولا حاول الانتفاع من شعره عن طريق مدح الأمراء والحكام، وكانت تروى عنه أخبار عجيبة في رفضه لعطايا الحكام[4]، له ديوان شعر مطبوع بتحقيق إحسان عباس[5]، فلعل ضيق ذات يده وقف حائلا دون زواجه.

ومن الجدير بالذكر أن العزوف عن الزواج أشترك فيه العديد من العلماء الذين عرفوا بالتدين والزهد، فهذا أبو الأصبغ بن مؤمل البلنسي الزاهد المقرئ المشهور (ت573هـ) والذي كان مقدماً على غيره في علم القراءات صواماً قواماً، لكنه لم يتزوج قط[6]، ويشاركه في ذلك مواطنه البلنسي الأندلسي الآخر عبيد الله بن عبد الرحمن بن عيشون المعافري (ت573هـ)، فعلى الرغم من أنه كان مشهوراً في الصلاح والبر والخير والتواضع، لكنه لم يتزوج مع كونه ميسور الحال، إذ كان من أصحاب الثروات[7]، بنى مسجداً سمي باسمه في مدينة بلنسية ووقف عليه داراً لسكن إمام المسجد، وهو صاحب كتاب المعلم بفوائد صحيح مسلم[8].

1 المصدر نفسه، ج3/ ص445- ص446.

2 السيوطي، بغية الوعاة، ج2/ ص30.

3 **ابن الابار، التكملة لكتاب الصلة، ج2/ ص47.**

4 **المصدر نفسه والصفحة.**

5 **الزركلي، الأعلام، ج6/ ص324؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج11/ ص110.**

6 الذهبي، تاريخ الإسلام، ج40/ ص123.

7 **الذهبي، تاريخ الإسلام، ج40/ ص124.**

8 التكملة لكتاب الصلة، ج2/ ص313- 314.

وشارك علماء الأندلس عالم آخر في هذه الصفة من مدينة بلنسية أيضاً هو إبراهيم بن حسين بن يوسف المعروف بابن محارب (ت581 هـ)، كان مشهوراً بعلم القراءات والتجويد واللغة العربية، وبقي طيلة عمره صرورة لم يتزوج أبداً[1].

وهكذا فقد تعددت أسباب عدم زواج العلماء المذكورين في هذه الحقبة الزمنية وتعددت الأقاليم التي ينتمون إليها والعلوم التي برزوا فيها، وسنرى تشابهاً لهذه الأمور في المبحثين القادمين.

المبحث الثالث–العزوف عن الزواج عند مؤلفي وعلماء القرن السابع الهجري:

يعد المؤرخ الشامي شمس الدين الذهبي (ت748هـ) من أكثر المؤرخين الذين حرصوا على ذكر هذا الجانب من حياة العلماء الذين ترجم لهم في مؤلفاته الكثيرة والشهيرة، ومن هؤلاء الأديب والشاعر موسى بن الحسين بن موسى بن عمران الميرتلي الزاهد نزيل اشبيلية (ت604هـ) بعد أن عاش اثنتان وثمانون سنة، كان نسيج وحده في الزهد والعبادة والورع والعزلة مشار إليه بإجابة الدعوة وله في ذلك أخبار[2]، وكان ملازماً لمسجده في اشبيلية يقرئ ويعلم ولكنه لم يتزوج قط، وكانت له أشعار في الفقر مثل:

عجباً لنا نبغي الغنى والفقر في

نيل الغنى لو صحت الألباب[3]

أما الأديب والنحوي والشاعر الأندلسي الأشبيلي علي بن محمد بن علي المشهور بأن خروف الأندلسي (ت609هـ)، فقد كان إماما في العربية محققاً مدققاً ماهراً مشاركاً في الأصول، شرح كتاب سيبويه وأهداه الى صاحب المغرب الناصر بن عبد المؤمن فأعطاه ألف دينار[4]، كما شرح كتاب الجمل للزجاج وله كتاب آخر في الفرائض، وانتهت حياته حينما وقع ليلاً في حب فمات في السنة المثبتة أعلاه، حيث قال بعض مترجميه انه أختل في آخر عمره حتى أخذ يمشي في الأسواق مكشوف الرأس[5]، وهذا العالم المؤلف لم يتزوج أبدا ،حيث كان يقول: والله ما حللت مئزري على حلال أو حرام قط، وكان مشهوراً بالصدق والأمانة، عمل تاجراً في أواني الخشب بين البلدان، لكن أسلوب حياته اليومية جعله بعيداً عن الإقدام على تأسيس عائلة يركن إليها، إذ ذكر بعض مترجميه انه كان لا يسكن إلا في الحانات[6]، لعدم اتخاذه منزل معين على الرغم من مقدرته على ذلك، وعلق ابن كثير على طريقة

1 المصدر نفسه، ج1/ ص135.

2 الذهبي، تاريخ الإسلام، ج43/ ص164؛ سير أعلام النبلاء، ج14/ ص310.

3 المصدر نفسه، ج43/ ص164.

4 ابن كثير، البداية والنهاية، ج13/ ص535.

5 السيوطي، بغية الوعاة، ج2/ ص203.

6 المصدر نفسه والصفحة نفسها.

عيشه تلك بقوله: "ولذلك علة تغلب على طباع الأراذل"[1]، ويعد ابن خروف هذا من المعمرين إذ مات بعد أن عاش خمساً وثمانين سنة[2]، والواقع ان ما قاله ابن كثير في حق هذا العالم يمثل رأيه الشخصي، إذ قد يجد بعض الناس راحتهم وسعادتهم في نمط معين من العيش لا يراه غيرهم مناسباً.

ومن علماء المغرب المتكلم الأصولي يوسف بن عبد الصمد بن يوسف بن علي المعروف بابن نحوي (ت614هـ) كان إماماً في علم الكلام وأصول الفقه، سافر الى الأندلس ودخل مدينة اشبيلية ثم عاد الى فاس واستقر بها الى أن توفي دون أن يتزوج قط[3].

وقد يدخل الفقر مع الصبر عليه والعفة عما في أيدي الناس سبباً في الإحجام عن الزواج، فهذا النحوي والأديب علي بن محمد بن ديسم من أهل مرسية بالأندلس (ت624هـ)، كان صبوراً على الفقر معروفاً بذلك عفيفاً يعيش مما يكتب بخطه، مات ولم يتزوج قط[4].

ومن فقهاء هذه الفترة الذين اثروا العيش دون امرأة الفقيه الحنبلي ناصح الدين عبد القادر بن عبد القاهر بن عبد المنعم الحراني شيخ حران وفقيهها (ت634هـ)، وصف من قبل مترجميه بأنه قليل الكلام لا يتدخل فيما لا يعنيه كثير الديانة شريف النفس مهاباً، ألف كتاب المذهب المفضل في مذهب أحمد، كان يعمل مدرساً ببلده وطلب للقضاء فأبى وعاش عمره دون زواج[5].

وتحدث المؤرخ الأندلسي ابن الأبار (ت658هـ) عن أحد شيوخه الذين عزفوا عن الزواج وهو يوسف بن محمد بن علي بن خليفة من أهل أندة[6] المتوفى سنة 635هـ قائلاً: "أخذت عنه من كتب النحو واللغة والأدب جملة وافرة"[7]، وذكر بعض سجاياه التي قد تكون هي الحائل دون زواجه حيث قال: "وكان عدلاً خياراً شديد الانقباض والاعتزال للناس مقبلاً على ما يعنيه صرورة لم يتزوج قط ولا داخل أبناء الدنيا..."[8]، وهنا يدخل سبب آخر هو حب العزلة وتفضيلها، أما بدواع اجتماعية أو علمية، وقد تكلم المؤرخ العراقي الشهير ابن الجوزي البغدادي (ت597هـ) عن العزلة في عدة مواضع من كتابه (صيد الخاطر) هذا الكتاب الذي يمثل آراء مؤلفه الشخصية في مواضيع شتى معتمداً في تدوينها على تجاربه الشخصية من حياته الخاصة، ومن ذلك ما قاله: "ما أعرف للعالم قط لذة ولا عذراً ولا شرفاً ولا راحة ولا سلامة أفضل من العزلة، فأنه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله عز وجل وعند

1 البداية والنهاية، ج3/ ص53.

2 السيوطي، بغية الوعاة، ج2/ ص203.

3 ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج4/ ص227.

4 المصدر نفسه، ج3/ ص234.

5 ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5/ ص167.

6 أندة: مدينة من أعمال بلنسية بالأندلس، كثيرة المياه والرساتيق والشجر، نسب إليها الكثير من العلماء. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1/ ص264.

7 التكملة لكتاب الصلة، ج4/ ص223.

8 المصدر نفسه والصفحة.

الخلق، لأن الخلق يهبون علمهم من يخالطهم... فأن أردت اللذة والراحة فعليك أيها العالم بعقر بيتك..."[1]. ولكنه رفض أن تكون العزلة سبباً لعدم الزواج، بل نجده على خلاف ذلك يرى أن عزلة العالم عن زوجته تجعل حياته معها متجددة يفهم ذلك من قوله: "وكن معتزلاً عن أهلك يطب لك عيشك، وأجعل للقاء الأهل وقتاً، فاذا عرفوه تصنعوا للقائك، فكانت المعاشرة بذلك أجود"[2]. إن ابن الجوزي إنما فضل العزلة للعالم لأسباب بينها في كتابه المذكور، هي اغتنام الوقت للدرس والتحصيل والتأليف وقضائه بما ينفع من علم والابتعاد عن شرور بعض الناس ومخالطة السلطان[3].

ومن العلماء الزهاد الذين لم يتزوجوا طيلة حياتهم عيسى بن أحمد بن الياس اليونيني (ت654هـ) لم يشتغل هذا الشيخ الزاهد طيلة حياته الا بالعبادة ومطالعة الكتب، وخاصة كتب الرقائق، ولم يتزوج، بل عقد عقداً على عجوز كانت تخدمه[4].

ومن كبار علماء الشام في القرن السابع الهجري الذين أحجموا عن الزواج الحافظ الفقيه الزاهد يحيى بن شرف بن مري محيي الدين النووي (ت676هـ) قال الذهبي: "انه كان يقرأ في كل يوم أثني عشر درساً على الشيوخ شرحاً وتصحيحاً، وكان النووي يقول أنه لا يضيع وقتاً في ليل ولا نهار إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم حتى في ذهابه في الطريق فأنه يكرر ويطالع"[5]، وكان: "محققاً في علمه ومتونه مدققاً في علمه وشؤونه حافظاً لحديث رسول الله (ﷺ) عارفاً بأنواعه من صحيحه وسقيمه وغريب ألفاظه واستنباط فقهه... وقد صرف أوقاته كلها في أنواع العلم والعمل فيه"[6]، وكان لا يأكل في اليوم والليلة الا مرة واحدة ليلاً ولا يشرب الا مرة واحدة في السحر ولا يأكل من فاكهة دمشق التي سكنها أبداً، وحينما سئل عن سبب ذلك أجاب: إن في دمشق أركان أملاك محجوزة وفيها خلاف بين الناس فلا تطيب نفسي أن آكل منها"[7].

ومن الجدير بالذكر إن هذا العالم كان أحد المكثرين في التأليف فقد ألف المنهاج في صحيح مسلم ورياض الصالحين والإيضاح والمجموع وتهذيب الأسماء واللغات وغيرها، وكتب بخطه ألف كراسة ثم أمر أحد تلامذته بغسلها[8]، وهكذا يتضح بشكل جلي أن سبب عدم زواجه يعود الى رغبته في التفرغ للعلم ونشره، حتى عرف بذلك وسارت بشهرته الركبان، هذا فضلاً عن زهده وورعه، اذ كان مقتصداً الى

1 ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص210-211.

2 المصدر نفسه، ص211.

3 المصدر نفسه والصفحة.

4 الذهبي، تاريخ الإسلام، ج48/ ص174.

5 تاريخ الإسلام، ج50/ ص248.

6 ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2/ ص155- ص156.

7 الذهبي، تاريخ الإسلام، ج1/ ص252.

8 ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5/ ص356.

الغاية في مأكله وملبسه وأثاثه[1]. وذكر ابن قاضي شهبة إن النووي "لم يتزوج قط لانشغاله بالدرس والتحصيل، ولي دار الحديث الأشرفية، ولم يأخذ من راتبها شيئاً"[2].

وبدواعي دينية عزف الفقيه البعلبكي ابراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد (ت691هـ) عن الزواج، إذ نقل الذهبي بعض سيرته من أحد زملائه الحسن أمين الدين محمد بن طولون قائلاً: "لم يتزوج قط ولا أشتغل بشيء من المكاسب وكان قنوعاً يقوم الليل ويصوم كثيراً وغالب أيامه يقرأ نصف ختمة... صحبته قريباً من عشر سنين كلانا في بيت واحد، ولم أعلم انه قرأ في يوم أقل من سبع ختمة سوى التسبيح والأذكار وما رأيته نام على جنبه الأيسر قط، فقال في مرضه الذي مات فيه قد عملت كما قال الله تعالى سبحانه {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}[3].

ووصف لنا المؤرخ الوادي آشي المحدث عمر عبد المنعم بن عمر الطائي الدمشقي (ت698هـ) بأنه كان خيراً صالحاً ثقة أميناً صبوراً حسن الأخلاق كان يعتمد في معيشته على بستان له عاش حوالي ثلاثة وتسعين عاما دون زواج[4]، ويعد هذا المحدث من المعمرين اذ انه ولد سنة 605هـ[5].

ويعجب القارئ لسير بعض العلماء من علو مكانتهم ورفعة شأنهم، ولكن مع ذلك لم يتزوجوا، ومن هؤلاء النحوي الشهير بهاء الدين ابن النحاس شيخ العربية بالديار المصرية (ت698هـ) فلنقرأ مكانته الاجتماعية والدينية والعلمية كما ذكرها لنا المؤرخ الصفدي، فقد قال: "كان حسن الأخلاق منبسطاً على الإطلاق متسع النفس في حالتي الغنى والاملاق ذكي الفطرة زكي المخالطة والعشرة مطرح التكلف مع أصحابه... لم يرزق أحد وجاهته في صدور الصدور ولا فرح أحد بسيادته... وكان معروفاً بحل المشكلات موصوفاً بإيضاح المعضلات كثير التلاوة والأذكار كثير الصلاة في نوافل الأسحار موثوقاً بديانته مقطوعاً بأمانته، وأما علمه بالعربية فاليه الرحلة من الأقطار... قد أتقن النحو وتصريفه وعلم حد ذلك ورسمه وتعريفه... تخرج به الأفاضل من كل مناظر ومناضل وانتفع الناس به وبتعليمه..."[6]، ولكن على الرغم من ذلك كله فانه لم يتزوج مع كونه ميسور الحال، وقد ألف من الكتب شرح المغرب في النحو وشرح ديوان أمرئ القيس وله ديوان شعر أيضاً، ومن نشاطاته الأخرى انه كان

1 النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج1/ 19.

2 طبقات الشافعية، ج1/ ص168.

3 الذهبي، تاريخ الإسلام، ج52/ ص111.

4 برنامج الوادي اشي، ج1/ ص153- ص154.

5 المصدر نفسه، ج1/ ص153.

6 الوافي بالوفيات، ج2/ ص112.

جماعة للكتب حتى اشترى منها ما يعادل الألف دينار[1]، ومن خلال سيرته يظهر لنا انه لم يكن بحاجة الى مال أو جاه كي يعلل ذلك عزوفه عن الزواج، بل على العكس من ذلك كان ذو جاه عريض ومال وفير، حتى انه كان يستقبل في منزله الرؤساء والوزراء ومن دونهم يزورونه للأخذ عنه[2].

وآخر من ذكرته المصادر من علماء هذا القرن العازفين عن الزواج هو الفقيه والأديب الشاعر أحمد بن عباس المساميري الشافعي (ت699هـ) ذكر السيوطي انه كان متقللاً في دنياه[3]، ولعل ذلك كان سبباً من الأسباب التي دفعته إلى عدم الزواج.

المبحث الرابع– العزوف عن الزواج عند المؤلفين والعلماء خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة:

يلاحظ على هذه المدة الزمنية ارتفاع نسبة العازفين عن الزواج بين المؤلفين والعلماء المسلمين مع دخول أسباب جديدة أدت إلى ذلك، ومن بين هؤلاء العلماء الفقيه النحوي كمال الدين عبد الوهاب بن قاضي شهبة الأسدي (ت726هـ) وهو من أسرة شامية شهيرة هي أسرة آل قاضي شهبة[4]. وصفه لنا ابن كثير الدمشقي بأنه كان حسن الهيئة والعيش والملبس متقللاً في دنياه يعتاش من معلوم يأتيه لقاء تصدره بالجامع وكان يعتكف جميع شهر رمضان إلا انه لم يتزوج قط[5].

وتحدثت لنا المصادر التي ترجمت للقاضي زين الدين عمر بن أبي حزم المشهور بابن الكتاني (ت738هـ) بشيء من الصراحة، مما دلنا على السبب الكامن وراء عدم زواجه، فعلى الرغم من أنه كان شيخ الشافعية في عصره مفتياً ومدرساً للعلوم الدينية كالفقه والحديث الشريف، الا أنه "كان نافراً عن الناس سيء الخلق يطير الذباب فيغضب ومن تبسم عنده يطرد ان لم يضرب، وأفضى به ذلك الى أنه في غالب عمره المتصل بالموت كان مقيماً في بيته وحده لم يتزوج ولم يتيسر ولم يقتن رقيقاً ولا مركوباً ولا داراً ولا غلاماً ولم يعرف له تصنيف"[6]، وقال معاصره المؤرخ ابن كثير الدمشقي الذي شاركه سكنى دمشق: "ناب عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد فحمدت سيرته ودرس بمدارس كبار وولى مشيخة دار الحديث بالقبة المنصورية، وكان بارعاً فاضلاً عنده فوائد كثيرة جداً غير انه كان سيء الأخلاق منقبضاً عن الناس لم يتزوج قط، وكان حسن الشكل بهي المنظر يأكل الطيبات ويلبس اللين من الثياب له فوائد وزوائد على الروضة وغيرها وكان فيه استهتار لبعض العلماء فاله

1 ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج2/ ص189؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ص1344.

2 الوادي اشي، برنامج الوادي اشي، ج1/ ص125.

3 بغية الوعاة، ج1/ ص313.

4 شهبة أحدى قرى حوران من نواحي دمشق. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3/ ص374.

5 ابن كثير، البداية والنهاية، ج14/ ص127.

6 ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2/ ص276– ص278؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج6/ ص117.

يسامحه"[1].وهكذا كان ابن كثير على خلاف المؤرخين السابقين ذكر ايجابياته وسلبياته، حيث يتبين مما أورده أن الرجل على الرغم من حسن سيرته الإدارية ونجاحه العلمي، لم يكن موفقاً من الناحية الاجتماعية بسبب سوء تعامله مع الناس ورغبته في العيش وفق أسلوب تعتريه الأنانية والانعزال.

ويحار القارئ لسيرة بعض العلماء حينما لا يجد ما يبرر عدم زواجهم سوى أن يعزوه الى أسباب ذاتية تتعلق بالمؤلف أو العالم نفسه فربما فعل ذلك رغبة منه في العيش دون قيود أسرية ولحاجته الى مجال أوسع من الحرية الشخصية، أو ربما أسباب رغب هؤلاء أن تبقى في طي الكتمان، والا فما هو تفسير عزوف أحدهم عن الزواج مع حسن أخلاقه وتدينه وحسن معشره، فضلاً عن قدرته المالية، ومن بين هؤلاء الذين ينطبق عليهم ذلك الفقيه أسد الدين عبد القادر بن عبد العزيز بن المعظم الأيوبي (ت837هـ) فقد قال ابن حجر العسقلاني انه درس سيرة ابن هشام وبعض الكتب الأخرى وأجازه بعض علماء الشام "وكان حسن الأخلاق مليح الشكل كثير الشعر" لكنه مع ذلك لم يتزوج ولا تسرى طيلة عمره[2].

والأمر نفسه ينطبق على الجغرافي والمؤرخ العراقي صفي الدين بن عبد الحق البغدادي (ت739هـ) صاحب المؤلفات المشهورة مثل: مراصد الاطلاع والعدة في شرح العمدة ومختصر تاريخ الطبري، ذكر ابن حجر في كتابه الذي خصصه لأعلام القرن الثامن الهجري انه "كان زاهداً خيراً ذا مروءة وفتوة وتواضع ومحاسن كثيرة طارحاً للتكلف... وكان شيخ العراق على الإطلاق"[3]، وذكر ابن حجر أيضاً ان هذا المؤلف العراقي الذي استقر مدة في مصر "كان علامة في الفرائض والحساب والجبر والمقابلة..."[4]، ولا نعرف السبب الكامن وراء عدم زواجه.

وظل عامل حب العزلة عن الناس (الانجماع) وترك مخالطتهم والتفرغ شبه التام للعبادة، أحد العوامل التي تفسر عدم زواج بعض المؤلفين، ففي ترجمته للمحدث والمفسر علي بن عثمان بن حسان بن محاسن الدمشقي (ت739هـ) قال ابن حجر العسقلاني: "وكتب بخطه كثيراً فمن ذلك اختصار تفسير الطبري، وكان فيه انجماع عن الناس مع ملازمة الصلاة في الجماعة..."[5].

1 ابن كثير، البداية والنهاية، ج14/ ص183.

2 ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج3/ ص189.

3 ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج3/ ص224.

4 المصدر نفسه والصفحة.

5 ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج4/ ص98؛ وتنظر ترجمته عند الصفدي، الوافي بالوفيات، ج21/ ص205 ولم يذكر قضية عدم زواجه، وكذلك الذهبي في معجمه ج1/ ص117 ولم يذكر عزوفه عن الزواج، والذهبي والصفدي هما معاصران له ومن أهل دمشق التي عاش فيها المترجم.

وصرح بعض المؤرخين بالأسباب الحقيقية لعدم الزواج، ومن ذلك ما قاله ابن قاضي شهبة في ترجمة المؤرخ والمحدث والفقيه جعفر بن ثعلب كمال الدين الأدفوي المصري (ت748هـ) فبعد أن قال فيه انه كان مشاركاً في علوم متعددة أديباً شاعراً ذكياً كريماً طارحاً للتكلف ذا مروءة كثيرة أردف قائلاً: "ولم يتزوج ولم يتسر لفقدان داعية ذلك"[1]، ويفهم من هذا التصريح أن المترجم كانت فيه عنة، غير أن بعض مترجميه الآخرين لم يذكروا ذلك ولا أشاروا لعزوفه عن الزواج[2]، والأدفوي هذا مؤلف مشهور في القرن الثامن الهجري ألف عدة مؤلفات مثل: الإمتاع في أحكام السماع والطالع السعيد في تاريخ الصعيد[3]، وألف أيضاً كتاب البدر السافر وتحفة المسافر وهو في تراجم القرن السابع الهجري وله كتاب: الفوائد في علم الفرائض[4].

ومن محدثي هذه الفترة الذين عزفوا عن الزواج أحمد بن مظفر بن أبي محمد بن مظفر الشيخ الإمام الحافظ شهاب الدين النابلسي (ت758هـ)[5]، قال معاصره المؤرخ الشامي الصفدي (ت764هـ): "كان ثبتاً حافظاً متقناً... متجلياً بالقناعة عن الدنيا لا يزاحم الناس في دنياهم ولا يسعى معاهم"[6]. وقال عنه زميله شمس الدين الذهبي: "وأكب على الطلب زماناً وترافقنا مدة وكتب وخرج وفي خلقه زعارة[7] وفي طباعه نفور عن المحدثين وغيرهم والله يصلحه والمسلمين، فعليه مآخذ وله محاسن..."[8]، وذكر له الصفدي صفة أخرى هي صفة العزلة التي لازمته فضلاً عن ضيق ذات اليد إذ قال: "وكان منجمعاً عن الناس، مجموع ما له في الشهر ما يزيد على العشرين درهماً..."[9]، وقال فيه مؤرخ آخر انه "لم يتزوج قط وكان يحب الخلوة والانجماع"[10]، ولعل في ما ذكره هؤلاء المؤرخين من سجايا وطباع اتصفت بها شخصية ابن النابلسي هذا ما يفسر لنا عدم زواجه حتى وفاته، ويعد من المؤلفين في مجال الحديث الشريف وتراجم الرواة[11].

1 ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج3/ ص21.

2 الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11/ ص78؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10/ ص237.

3 الصفدي، المصدر نفسه، ج11/ ص78.

4 الزركلي، الإعلام، ج2/ ص122.

5 ابن ناصر الدين، الرد الوافر، ج1/ ص80؛ الصفدي، أعيان العصر، ج1/ 233.

6 المصدر نفسه، ج1/ ص233.

7 المعجم، ج1/ ص37.

8 الذهبي، معجم الذهبي، ج1/ ص37.

9 الصفدي، أعيان العصر، ج1/ ص234.

10 ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج1/ ص376.

11 المصدر نفسه والصفحة.

وانفرد بعض المؤرخين بذكر المعلومة حول عزوف أحد العلماء عن الزواج إذ لا نجد لذلك صداً في تراجم المؤرخين الآخرين لذلك العالم، ومثال ذلك المحدث والأديب الدمشقي يوسف بن علي بن يوسف المشهور بابن المهتار الذي عاش حوالي ثلاث وستون سنة دون زواج، إذ ولد سنة 713هـ وتوفى سنة 776هـ، ذكر ذلك ابن حجر العسقلاني دون ذكر السبب[1]، وقد ترجم له معاصره ومواطنه ابن كثير الدمشقي (ت774هـ) ولم يذكر عدم زواجه، بل قال انه: "كان فاضلاً في الحديث والأدب يكتب كتابة حسنة جداً وتولى مشيخة دار الحديث النورية وقد سمع الكثير وانتفع الناس به وبكتابته...[2]".

ومن علماء الشام في هذه الفترة الحافظ شمس الدين أبو بكر محمد بن عبد الله المقدسي المعروف بالصامت لكثرة سكوته (ت789هـ)[3]، ألف كتاب التذكرة في الضعفاء[4]، قال فيه ابن حجر انه كان كثير المروءة حسن الهيئة من رؤساء أهل دمشق[5]، لكن ابن حجر العسقلاني في كتاب آخر له قال في ترجمته: "كان كثير الانجماع والسكون، فقيل له الصامت لذلك، كثير التقشف جداً بحيث يلبس الثوب أو العمامة فتتقطع قبل أن يبدلها أو يغسلها... ولم يتزوج قط"[6].

ومن علماء المغرب المشاهير الفقيه الزاهد الصوفي محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك النفزي نسباً والرندي بلداً الشهير بابن عباد (ت792هـ) الذي ألف عدة مؤلفات مثل: تحقيق العلامة في أحكام الإمامة والدرر المنيرة في شرح المرشدة[7]، ولقد فصل المؤرخ المقري بترجمته ومن بين ما ذكره عنه انه كان يتولى أمر خدمته بنفسه ولم يتزوج ولم يملك أمة، وكانت ثيابه مرقعة، فإذا خرج سترها بقماش آخر وكانت أكثر خطبه في الوعظ وقد زار المؤرخ المذكور قبر هذا الشيخ وقال انه عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند أهل مصر[8].

وفي مطلع القرن التاسع الهجري وبالتحديد سنة 806 مات بمكة الشيخ إبراهيم بن محمد الدمشقي الحريري الصوفي المشهور بابن صديق وذلك عن 87 سنة قضاها دون زواج أو تسري، وكان فقيراً يأخذ من الطلبة مقابل تدريسهم الحديث لحاجته لذلك، تتلمذ على يديه كبار المحدثين مثل:

1 الدرر الكامنة، ج6/ ص239.

2 البداية والنهاية، ج13/ ص308.

3 السيوطي، طبقات الحفاظ، ج1/ ص539؛ ابن مفلح، المقصد الأرشد، ج2/ ص430.

4 ابن ناصر الدين، الرد الوافر، ج1/ ص48.

5 الدرر الكامنة، ج5/ ص210.

6 أنباء الغمر، ج2/ ص271.

7 البغدادي، إيضاح المكنون، ج3/ ص266- ص460.

8 المقري، نفح الطيب، ج5/ ص344.

برهان الدين الجلبي وابن ظهيرة وتقي الدين الفاسي وغيرهم[1]، ووصفه السيوطي بأنه كان صالحاً خيراً متعبداً نظيفاً لطيفاً، وهو ممن زار مصر وعمر طويلاً[2]، ولعل في تصوفه ما يعلل عدم زواجه.

ونادراً ما ذكر المؤرخون النقد الموجه للعلماء غير المتزوجين، ومن ذلك ما أشار اليه مؤرخ القرن التاسع الهجري المشهور شمس الدين السخاوي (ت902هـ) في ترجمته للفقيه أحمد بن عمر بن محمد البدر القاهري انه برع في الفقه وأصوله والعربية والمعاني والبيان والمشهور بالذكاء والفصاحة ولكنه مع ذلك كان يتكلم عنه لأنه لم يتزوج وانه لم يكن يلتفت لذلك، بل لم يزل مقبلاً على العلم باذلاً جهده ووقته له الى أن أتته المنية سنة (809هـ) بعد أن جاوز الستين عاماً[3]، وذكر ابن قاضي شهبة انه كان ذكياً فصيحاً لكنه لم يكن مرضي الديانة[4]، وفصل المقريزي بشكل أوضح في قضية عدم زواجه حينما قال: "كان مفرط الذكاء فصيح العبارة متقدماً على كل من باحثه إلا انه أضره عدم زواجه وما سمع عنه بمعاشرة المتهمين، فكثر الطعن عليه وشنعت القالة فيه، ولم يكن هو يفكر في هذا، بل لا يزال مقبلاً على الاشتغال بالعلم على ما يعاب عليه..."[5]، أما ابن حجر العسقلاني فنقده بشيء من الاختصار حينما قال: "وكان عارفاً بالفنون ماهرا في الفقه والعربية فصيح العبارة، وله هنات سامحه الله"[6]. والواقع انه لا يمكن الاطمئنان الى جميع ما ذكره المقريزي في ترجمته لهذا الأديب لاسيما وانه اعتمد في ذكر ذلك على ما طرق سمعه دون تثبت.

وأشار ابن حجر والسخاوي الى صفة لازمت الفقيه علي بن عبد الرحمن البيروذي[7] الدمشقي (ت809هـ) ربما تفسر لنا تلك الصفة عزوفه عن الزواج حتى وفاته، اذ نقل هذان المؤرخان عن ابن حجي الحسباني (ت816هـ) أن البيروذي: "كان مقتراً على نفسه جماعة للمال"[8] وان صح ذلك فأن البخل قد يمنع البعض من الزواج خشية من نفقاته أو الصرف على الأسرة ولا يجد سبيلاً للتخلص من هذا المانع.ولم يكن هذا الأديب وحده في ذلك، إذ شاركه فيه الفقيه ناصر الدين محمد بن علاء الدين علي (ت814هـ) الذي تولى عدة وظائف في مصر منها: التدريس والخطابة، ذكره ابن حجر العسقلاني فقال: "كان كثير التقشف لا يتعانى الملابس ولا المراكيب"[9].وذكر النعيمي معلومات أخرى عنه وعن

1 السخاوي، الضوء اللامع، ج2/ ص56.

2 السخاوي، التحفة اللطيفة، ج1/ ص84.

3 الضوء اللامع، ج2/ ص56.

4 طبقات الشافعية، ج4/ ص17.

5 درر العقود الفريدة، مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد، ورقة 60.

6 إنباء الغمر، ج6/ ص23.

7 بيروذ ناحية تقع بين الأهواز ومدينة الطيب تسمى البصرى الصغرى. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1/ ص526.

8 – انباء الغمر، ج6/ ص37؛ الضوء اللامع، ج5/ ص239.

9 انباء الغمر، ج7/ ص43.

تقشفه حتى قال: "لم يبلغنا عنه انه أحسن الى أحد ولا آثره بشيء وجمعها من غير حل وخلفها لمن لا يعمل فيها بتقوى الله..."[1]، وذكر أيضاً انه "لم يتزوج قط بل عقد عقده على ابنة ابن المزلف فيما أظن ولم يدخل بها..."[2].وليس بعيداً إن هذا هو السبب الذي كان وراء عدم زواج المترجمين السابقين .

وذكر بعض المؤرخين إن النحوي المصري علي بن سيف بن علي بن سليمان اللواتي الأبياري نزيل دمشق (ت814هـ) انه لم يتزوج قط[3]، كما ذكروا له بعض السجايا مثل كثرة انجماعه عن الناس أي إيثاره للعزلة[4]، وانه كان فقيراً شديد الشكوى وكلما دخل إليه مالاً اشترى به كتباً لذلك كان عالماً في حفظ اللغة والأصول واستحضر الأنساب والأسفار والأخبار حتى أصبح عارفاً بأيام الناس، ولكن جميع كتبه التي جمعها ذهبت أبان احتلال تيمورلنك لمدينة دمشق، وذكر له ابن العماد الحنبلي بعض المؤلفات مثل الجزء الذي جمعه في الرد على تعقيبات أبي حيان[5].

ويعد محمد بن أبي بكر بن جماعة الحموي (ت819هـ) أحد علماء هذه الفترة الموسوعيين كثيري التصنيف، ذكر السيوطي إن مؤلفاته جاوزت الألف وانه كان "يعرف علوماً عديدة منها: الفقه والتفسير والحديث والجدل والخلاف والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق والهيئة والحكمة والطب والفروسية والرمح والنشاب والدبوس والرمل وصناعة النفط والكيمياء..."[6]، ولم يكن هذا العالم بحاجة الى المال، ففضلاً عما كانت تدره عليه هذه المعارف، فأن السلطان المملوكي الملك المؤيد شيخ (815-824هـ) منحه عدة مرات جملة من الدنانير الذهبية[7]، لكنه مع ذلك لم يتزوج، فلماذا اذاً؟ فلنقرأ ما كتبه عنه السيوطي من معلومات قد تلقي لنا الضوء على ذلك، فقد قال: "كان منجمعاً عن بني الدنيا تاركاً التعرض للمناصب باراً بأصحابه مبالغاً في إكرامهم"[8]، إذاً هي العزلة مرة أخرى ربما تفسر لنا ذلك.

وإيثار العزلة الى جانب سلوك طريق التصوف كان هو الحائل دون زواج الشيخ الفقيه أبو بكر بن محمد بن أبي بكر زين الدين السخاوي (ت822هـ) فقد ترجمه ابن أخيه المؤرخ شمس الدين السخاوي قائلاً: "نزل صوفياً في البيبرسية، ولزم الانجماع والعبادة مع الأوصاف الحميدة بحيث لم

1 النعيمي، الدارس، ج1/ ص130.

2 المصدر نفسه والصفحة.

3 السخاوي، الضوء اللامع، ج7/ ص39؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج2/ ص169.

4 السخاوي، المصدر نفسه، ج7/ ص39.

5 شذرات الذهب، ج7/ ص107.

6 بغية الوعاة، ج1/ ص64.

7 ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر ، ج7/ ص242.

8 بغية الوعاة، ج1/ ص64.

يتزوج حتى مات بمرض السل..."[1]، وعند النظر في تاريخ ولادته الذي أثبته السخاوي سنة 793هـ نجد أن عمره حينما مات كان 29 سنة، لذا ربما كان المرض الذي لم يمهله هو السبب الحقيقي وراء عدم زواجه فربما تزوج لو انه عاش أكثر من ذلك، وهذا الشيخ من المؤلفين، إذ شرح الفية العراقي وكتاب التدريب للبلقيني وغيرهما[2].

إن سلوك بعض العلماء لنمط معين من العيش مختلف عما هو شائع قد يعرضه للاتهام، ولاسيما إذا ترك التزويج وبقي أعزباً ومن ذلك ما ذكره بعض المؤرخين في ترجمة الأديب محمد بن عمر نظام الدين الحموي (ت822هـ) الذي أخذ يقلد الأعاجم فتزيا بزيهم وتكلم بلسانهم وغلب على حياته الهزل والمجون ولم يتزوج قط، لذا أتهم بالولدان، وجاءت هذه التهمة صريحة عند ابن حجر العسقلاني والسخاوي اللذان اعتمدا فيها على ما قاله أحد معاصريه من أنه كان يأخذ الصغير فيربيه أحسن تربية، فإذا كبر وبلغ حد التزويج زوجه[3]. والواقع إن تبني الأطفال وتربيتهم بحد ذاته لا يقوم دليلاً على إثبات تلك التهمة.

ان رغبة بعض العلماء في أن يعيش وفقاً لما يريد دعتهم الى عدم الإقدام على الزواج، ومن ذلك ما كان يدعيه النحوي والمؤلف المصري أحمد بن علي بن عبد الله الدلجي الذي ترجمه السخاوي فقال في سيرته: "كان حسن العبارة، جيد الخط عارفاً بالأدب فاضلاً ولكنه كان مترفعاً على الناس كثير الاستهزاء بهم توفي سنة ثمانمائة وثمان وثلاثون ولم يتزوج قط، وكان يزعم انه يعيش العمر الطبيعي"[4].ويفهم من عبارة السخاوي وهو المعاصر لهذا المؤلف انه لم يكن مقتنعاً بتعليل الدلجي لعدم زواجه، إذ اعتقد إن الزواج يقصر عمر الإنسان. ولقد وضع الدلجي هذا عدة مؤلفات أهمها كتابه الفريد في بابه (الفلاكة والمفلوكون) وهو مجلد متوسط مطبوع تناول فيه تراجم الأشخاص ممن نالهم الزمان بنائبة من نوائبه، عافانا وإياكم الله منها، مركزاً فيه على الفقر حيث قال الياس كوركيس: "الفلاكة والمفلوكون اسم فارسي معناه الفقر والفقراء حلل فيه الفقر وذويه تحليلاً دقيقاً، إذ بحث معناه وأسبابه وعلله وذويه وحالاتهم وأورد فيه أشهر من عضهم الفقر بنابه وأناخ عليهم الدهر بكلله..."[5].

لقد تتبع السخاوي ذكر العلماء الذين لم يتزوجوا وأشار اليهم بشكل واضح ولاسيما الذين توفوا في القرن التاسع الهجري وهو القرن الذي أرخ لشخصياته من خلال كتابه المشهور الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ومن بين هؤلاء الإمام الأوحد –كما أطلق عليه– جمال الدين محمد بن علي بن

1 الضوء اللامع، ج11/ ص73.

2 المصدر نفسه والصفحة.

3 انباء الغمر، ج7/ ص370؛ الضوء اللامع، ج8/ ص271.

4 الضوء اللامع، ج2/ ص27.

5 معجم المطبوعات العربية، ج1/ ص877.

هاشم القرشي المكي المحدث الفقيه (ت859هـ) عرف عنه عفته ونزاهته طيلة حياته فضلاً عن تدينه المشهود له وحبه للخير، لكنه "منجمعاً عن الناس لا يخالط الا القليل ممن يثق به ولم يتزوج ولا تسرى"[1]. بهذه العبارات وصفه السخاوي الذي شاهده والتقاه في مكة المكرمة سنة 856هـ وأسمعه الحديث الشريف بقراءته[2].

ومن خلال قراءة ترجمة العالم إبراهيم بن علي بن محمد المكي المعروف بالزمزمي (ت864هـ) نجد انه كان موسوعياً لم يترك علماً كان معروفاً في زمانه الا وكان له فيه مشاركة أو معرفة مثل: الفقه والحديث والفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهيئة والهندسة وعلم الميقات واستخراج التقويم من الزيج والتواريخ والتصوف وانفرد في علم الميقات والفرائض وألف في ذلك وصار المعول عليه فيه، وهذا العلم أطره بالفضائل والديانة والفقه والتواضع وعدم التكلف وسلامة الصدر والوقار والمهابة، ولكنه مع ذلك كله لم يتزوج قط[3]، وأمام هذه المعلومات التي ذكرها السخاوي المعاصر له لا نجد تفسيراً لعدم زواجه الا انشغاله بطلب العلم ونشره من خلال التأليف، علماً أن ذلك لا يمكن أن يعتمد مبرراً سواء أكان له أم لغيره من العلماء الذين شاركوه العزوف عن الزواج، لأن الانشغال بالعلم لم يمنع العديد من كبار العلماء من ذلك، مثل: ابن الجوزي الذي ألف بحدود (500) مصنفاً في مختلف العلوم، والسيوطي الذي ألف أكثر من (600) مصنفاً على أقل تقدير وغيرهما الكثير.

وبقي عامل حب العزلة الأكثر وضوحاً في سير العلماء والمؤلفين العازفين عن الزواج فالفقيه سعد الدين سعد بن خليل بن سليمان الرومي خازن الكتب بالمدرسة الشيوخونية (ت867هـ) كان عالماً بارعاً فاضلاً علامة في الفقه والعربية وله تصانيف منها: شرح القصارى في التصريف، علم ابنه شمس الدين محمد تلك العلوم وحينما توفي سنة 814 تولى ابنه بعده خزانة الكتب وكان هذا الابن رجلاً صالحاً لكنه كثير الانقباض عن الناس والانجماع عنهم ولم يتزوج قط، صحبه السيوطي عدة سنوات –كما قال– فلم يجد فيه ما يكره[4].

ومنهم حمزة بن محمد بن حسن البجائي المغربي (ت872هـ) برز في العربية والصرف والحديث والفقه والمعاني والبيان، قدم القاهرة وأقام فيها منجمعاً عن الناس منقبضاً لكنه كان يقرئ الطلبة ويقرب الفضلاء، وعلى الرغم من تخصيص السلطان المملوكي راتباً محترماً له لكنه ظل مع ذلك متقللاً متعززاً منقبضاً منفرداً ميالاً إلى ذلك حتى انه لم يتزوج[5].

1 الضوء اللامع، ج1/ ص224.

2 المصدر نفسه والصفحة.

3 – المصدر نفسه ،ج1 ص187 .

4 بغية الوعاة، ج1/ ص578.

5 السخاوي، الضوء اللامع، ج3/ ص167.

وأخيرا تنتهي رحلتنا مع العلماء الذين اثروا عدم الزواج تدفعهم في ذلك أسباب شتى، فلكل منهم نظرته لحياته، وسبب ما أو أكثر حال دون زواجه. ومن الجدير بالذكر ان مجانبة الزواج صفة لم تكن مقتصرة على علماء ومؤلفي العصور الإسلامية ، بل نجد أثر في عصرنا الحالي ، فقد درسنا في كلية الآداب بجامعة بغداد أبان الثمانينيات من القرن العشرين ، فتتلمذنا على بعض الأساتذة الكرام ممن آثروا العيش دون زوجة ، ومنهم من رحل عن الدنيا، ومنهم من لم يزل متمسكا بعزوبيته أو بصاروريته – كما يسميها اللغويون العرب، ولا نعرف الأسباب الكامنة وراء ذلك .

(الخاتمة وأهم الاستنتاجات)

1- تعدد التسميات التي أطلقت على تارك الزواج عند اللغويين.

2- تعدد الأسباب التي حالت دون زواج العديد من العلماء والمؤلفين، ويمكن القول أن أهمها الأسباب العلمية المتعلقة برغبة العالم التفرغ للدرس والتحصيل وانشغاله بالرحلة من أجل طلب العلم والقراءة والتأليف الى أن يجد نفسه كهلاً فلا يجد مبرراً للزواج حينئذ، وهناك ذاتية تتعلق بطبيعة شخصية العالم أو المؤلف، إذ نجد أن العديد منهم اتخذوا جانب العزلة عن المجتمع والزهد في الحياة فتركوا الزواج، كما أن هناك بعض المؤلفين والعلماء وقف البخل حائلاً دون زواجهم، ومنهم من لم يكن الأمر بيده، حيث عانى بعض هؤلاء من خلل بايلوجي متمثلاً بالعنة، وفي هذه الحالة لم يكن هؤلاء مخيرين بل مجبرين على ترك الزواج.

3- والذي يلاحظ على بعض العازفين عن الزواج إنهم كانوا من المكثرين في النتاج الفكري، ولاسيما تصنيف الكتب التي بقيت بعدهم لتدل على علو الهمة كالجاحظ والطبري وغيرهما.

4- وهناك عدد غير قليل ممن ترك الزواج عمر طويلاً، فمنهم من عاش أكثر من ثمانين سنة أو أكثر من تسعين سنة، بل بعضهم عاش أزيد من مئة عام كالطبيب إسحاق بن سليمان المصري، بل أن أحد هؤلاء العلماء صرح أن ما دفعه لترك الزواج رغبته في أن يعيش طويلاً.

5- والواقع إن ذلك لم يكن قاعدة عامة، بل يمكن القول أن هناك من العلماء الذين أكثروا من التصنيف وقد كونوا أسرة شاركوها الحياة، وخير مثال على ذلك شمس الدين الذهبي والسيوطي، وهناك من عمر طويلاً وقد أنشأ عائلة وأنجب أولاد وكان له أحفاد كابن الجوزي البغدادي الذي عاش خلال الفترة (500-597هـ) وهو أيضاً من المكثرين في التصنيف، اذ ألف أكثر من 500 عنوان في مختلف العلوم.

قائمة المصادر والمراجع

خير ما نفتتح به القران الكريم

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت658هـ):

1- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة (بيروت- 1995م).

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ):

2- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر (بيروت- 1980م).

- ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت606هـ):

3- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية (بيروت- 1979م).

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ):

4- الأغاني، تحقيق علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر (بيروت- د.ت).

- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت668هـ):

5- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة (بيروت- د.ت).

- الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت261هـ):

6- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت- د.ت).

- البغدادي، إسماعيل باشا (ت1339هـ):

7- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، صححه محمد شرف الدين، مكتبة المثنى (بغداد- 1387هـ).

8- هدية العارفين في أسماء المؤلفين واثار المصنفين، ط3، المكتبة الإسلامية (طهران- 1387هـ).

- الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف الكندي (ت723هـ):

9- السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد علي الأكوع، مكتبة الإرشاد (صنعاء- 1995م).

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت597هـ):
10- صيد الخاطر، تحقيق علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي، دار الفكر (بيروت- 1979م).
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت1067هـ):
11- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية (بيروت- 1992م).
- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت405هـ):
12- المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت- 1990م).
- ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ):
13- انباء الغمر بأنباء العمر، ط2 (بيروت- 1986م).
14- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مجلس دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد الدكن- 1972م).
- الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي (ت463هـ):
15- تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية (بيروت- د.ت).
- ابن خلكان، احمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ):
16- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت- 1968م).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ):
17- السنن، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر (بيروت- د.ت).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ):
18- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط1، تحقيق محمد عبد السلام، دار الكتاب العربي (بيروت- 1987م).
19- سير أعلام النبلاء، ط9، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة (بيروت- 1430هـ).
20- العبر في خبر من غبر، ط2، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت (الكويت- 1984م).
- الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى الواسطي(ت1205هـ):
21- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية (د.م.- د.ت).
- الزركلي، خير الدين:
22- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط5، دار العلم للملايين (بيروت- 1980م).
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ):
23- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت- 1993م).
24- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت- د.ت).
- السرخسي، شمس الدين محمد بن أحمد بن سهل (ت483هـ):
25- المبسوط، دار المعرفة (بيروت- د,.ت).
- سركيس، يوسف الياس:
26- معجم المطبوعات العربية، منشورات آية الله المرعشي، (طهران- د.ت).
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت230هـ):
27- الطبقات الكبرى، دار صادر (بيروت- 1975م).

- ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت224هـ):
28- غريب الحديث، تحقيق محمد عبد المعيد خان، ط1، دار الكتاب العربي (بيروت- 1396هـ).
- السمعاني، تاج الدين أبو سعد عبد الكريم (ت562هـ):
29- الأنساب، بعناية عبد الله البارودي، دار الجنات (بيروت- 11988م).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ):
30- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة المصرية (بيروت- د.ت).
31- الدرر المنثور، دار الفكر، (بيروت- 1993م).
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المدرسي (ت458هـ):
32- المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت- 2000م).
- ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت764هـ):
33- فوات الوفيات، تحقيق علي بن محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية (بيروت- 2000م).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت1250هـ):
34- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، دار الجيل (بيروت- 1973م).
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (ت235هـ):
35- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة ابن رشد (الرياض- 1409هـ).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ):
36- أعيان العصر وأعوان النصر، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت- 1998م).
37- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت- 2000م).
- الطبرسي، رضي الدين الحسن بن الفضل (ت548هـ):
38- مكارم الأخلاق، ط1، (د.م. - 1972م).
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت660هـ):
39- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر (بيروت- د.ت).
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد (ت1089هـ):
40- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط1، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (دمشق- 1406هـ).
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس (ت395هـ):
41- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الجيل (بيروت- 1999م).
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت175هـ):
42- كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط2، دار الهجرة (طهران- 1409هـ).
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب بن محمد (ت817هـ):
43- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي (الكويت- 1407هـ).
44- القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة (بيروت- د.ت).

- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت770هـ):
45- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية (بيروت- د.ت).
- ابن قاضي شهبة، أحمد بن محمد بن عمر (ت851هـ):
46- طبقات الشافعية، تحقيق عبد العليم خان، عالم الكتب (بيروت- 1407هـ).
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت774هـ):
47- البداية والنهاية، دار المعارف (بيروت- د.ت).
- كحالة، عمر رضا:
48- معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مطبعة الترقي (دمشق- 1972م).
- ابن مفلح، برهان الدين إبراهيم بن محمد (ت803هـ):
49- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الرشد (الرياض- 1990م).
- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ):
50- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت- 1388هـ).
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت854هـ):
51- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، مخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد، تحت رقم 248.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت711هـ):
52- لسان العرب، ط1، دار صادر (بيروت- 1968م).
- ابن ناصر الدين، محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت842هـ):
53- الرد الوافر، تحقيق زهير شاويش، المكتب الإسلامي (بيروت- 1393هـ).
- النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت927هـ):
54- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت- 1410هـ).
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين (ت676هـ):
55- شرح النووي على صحيح مسلم، ط2، دار إحياء التراث العربي (بيروت- 1392هـ).
56- المجموع، دار الفكر (بيروت- 1997م).
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت395هـ):
57- جمهرة الأمثال، دار الفكر (بيروت- 1988م).
- الهيثمي، علي بن أبي بكر المصري (ت807هـ):
58- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي (القاهرة- 1407هـ).
- الوادي اشي، محمد بن جابر التونسي (ت746هـ):
59- برنامج الوادي اشي، دار المغرب الإسلامي (بيروت- 1980م).
- ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ):
60- معجم الأدباء، أو إرشاد الأريب الى معرفة الأديب، دار الكتب العلمية (بيروت- 1991م).
61- معجم البلدان، دار الفكر العربي (بيروت- د.ت).

- أبو يعلى، الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي (ت446هـ):
62- الإرشاد الى معرفة علماء الحديث، تحقيق محمد سعيد عمر، مكتبة الرشد (الرياض- 1409هـ).